سعادة مدير الادارة العربية العام

دكتور مختار الوكيل

بين الصحافة والأدب

مطبعة الجريدة التجارية المصرية

بين الصحافة والأدب

للدكتور مختار الوكيل

نص المحاضرة التي ألقيت في سلسلة محاضرات

« جماعة الأدب الحديث »

في مساء الثلاثاء ١٢ جمادى الآخرة ١٣٨٣ الموافق ١٦ فبراير سنة ١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

بين الصحـــافة والادب

غمرني إخواني الكرام بفضلهم العميم عندما اقترحوا على أن يكون حديثي الليلة « بين الصحـــافة والأدب » . وهو لعمر الحق موضوع عميق عويص متشعب المسالك والأطراف : متعـدد المرامي والاتجـاهات ، وتناوله ليس بالأمر الهين اليسير . ولعلهم قد اختاروا هذا الموضوع بالذات ، لأني ساهمت بنصيبي الضئيل المتواضع فى الحياة الأدبية ، ومارست الصحافة هاويا ومحترفا ، سنوات عديدة . ولا ريب أن هذا منهم حسن ظن أرجو أن أكون عنده ، وألا أخيب رجاءهم فيما أنا بصدده من الحديث .

ولقد صدعت بما اقترح على من عنوان للحديث ، غير محاول فيه تعـديلا أو تبديلا . فإن أخطـأني التوفيق فيما أنا بسبيله فعذري إليهم وإليكم أنني أمرت فامتثلت وأطعت ، وحاولت جهد الطـاقة أن أتناول الموضـوع على النحو اللائق فى حديث سهل ميسور بعيد عن العنت والغموض .

* * *

كلنا نعرف أن الأدب هو ذلك الفن الرفيع النبيل الذي امتازت به البشرية منذ فجر الحضارة هو وأخوته من الفنون الأخرى من رسم وموسيقى وتمثيل ، بل لقد عرفته البشرية وسعدت به ، بوصفه تعبيراً جميلا صادقاً ، سواء أكان شعراً أم نثراً ، بعـد أن اهتدت إلى الكتابة بفترة زمنية وجيزة . أجل ، كان اهتداء الانسان إلى الكتابة فى عصر ماقبل التاريخ ، ثم عرف الأدب فى أعقاب

ذلك : عرفه فى الالياذة والأوديسا ، وفى مآسى إسخيلوس ، وسوفكليس وأوريبيديس ، وفى مهازل أرستوفانيس وخرافات إيسوبوس ، وعرفه فى شعر دانتى وأبى العلاء والمتنبى والبحتري وشكسبير وميلتون وجيته وشيللي وكيتس وفى آثار فولتير وجان جاك روسو وروائع أحمد شوقي والمنفلوطى وخليل مطران وبرناردشو وفى قصص تولستوى وإميل زولا وجازورنى ، وفى آثار العشرات، بل والمئات، من فحول الكتاب والشعراء والقصاصين ، ولا تزال البشرية ، بل وستظل تعرف الأدب الحي فى آثار الشعراء وكتاب المسرحيات والقصص والتراجم فى الشرق والغرب ! أولئك الذين يعملون بالهامهم وعبقريتهم على تصوير الحياة وتجميلها وإصلاحها ، والسير بها فى سبيل الحق والخير والجمال . ولسوف تختلف السبل وتتشعب ، ولكن الأدب الرفيع سيظل على المدى حياً ، لأنه ضرورة من ضرورات الحياة للانسان ، كالطعام والكساء والمأوى ، وليس لونا من ألوان الترف التى تقوم الحياة بدونها .

ولقد أودع الله فى كيان رجل الأدب قوة هائلة وطاقة مؤثرة ، فهو ليس بالانسان العادى ، الذى يفد إلى هذه الدنيا ليحيا فيها حياة البشر العادية من طعام وملبس وتناسل ، وإنما هو بشر ممتاز قد عهد اليه القدر بمهمة جليلة ، ولعل كارليل لم يعدُ جانب الصدق والحق عندما ذكر فى كتابه (الأبطال) أن الله سبحانه وتعالى قد عهد إلى الشاعر الأديب برسالة لاتقل عن رسالة الأنبياء . ولقد صور كارليل دانتى وشكسبير فى صورة بطلين من أبطال البشرية ، لأنهما أحدثا فى العالم من الآثار وخلدا من الأفكار مالا يقل عما أحدثه فيها الأنبياء . أو ليست رسالة النبوة هى رسالة الخير والحق والجمال ؟ بلى ، وهذه هى رسالة الأديب الحق ! وعندى أن الأديب الجدير بهذه التسمية سواء أكان شاعراً أم قصصياً أم كاتباً ناقداً ، إنما يكتب مايريد كتابته وكأنما هو وحى يوحى إليه، ولن تجد أديبا يكتب عند الطلب ! أو يؤمر فيلبى فور ساعته!

وكلنا نعرف عن يقين أن الأدب نشأ وترعرع قبل أن يعرف الانسان المطبعة بدهور طوال ، بل لقد شهدت الانسانية إزدهار الأدب ونماءه عن طريق الرواة والحفاظ الذين صانوه فى الصدور وحفظوه فى الضمائر حـــذر البلى والضياع ، ثم شهدت تلك الأجيال المتتابعـة من الـكتاب والنسـاخين الذين دونوا الروائع وكتبوها على الأحجار والأخشاب وفى الرقاع المصنوعة من جلود الحيوان وأوراق البردى وسعف النخيل ... فلهؤلاء الرواد من حفظـة الأدب ونساخيه ألف تحية وسلام .

ونحن نعرف تلك الثورة الثقافية الهائلة التي أحدثتهـــا مطبعة جوتنبرج ، والتى لم تبدأ فى صورتها الحقيقية الصادقة إلا بعد فترة من الزمن طويلة ، لأن ذلك الاختراع العجيب الجديد الذى أسعد البشرية كما قال برتراند رسل بحق فى كتابه Unpopular Essays كان أول الأمر نادرا وعسير التداول ، فى حين كان النسـاخ المتمرسون يزاولون مهامهم الثقافية على أدق صـورة وأكملهـا فى حدود إمكانياتهم وطاقتهم .

والمهم فى هذا الصدد أيها الأخوان أن الصحافة جاءت ثمرة متأخرة من ثمار المطبعة . ولست أريد فى هذا المقام أن أذهب مذهب أولئك الذين غالوا فى تقصي تاريخ ظهور الصحافة فادعوا أنها وجدت عند الرومان قبل ميلاد المسيح أو عرفها أهل الصين فى القرن السادس الميلادى ، وإنما أود أن أجمل حديثى هذا إليكم قاصراً على الصـحافة الجديرة بهذا الاسم ، الصحافة التى يمكن اعتبارها الأساس الحقيقى لما نألفه اليوم من تلك الدوريات التى تطالعنا فى موعد مضروب ، صباحا كان أم ظهراً أم عصراً أم مساء ، أم أسبوعيا أم شهريا ، أم دوريا كل ثلاثة أشهر أو نحـــو ذلك . ولعـل أول الصحف الجديرة بهـــذه التسمية هى صحيفـة La Gazette de France وقد أصدرها - كما تقول دائرة المعارف الفرنسية (لاروس) - الطبيب المؤرخ الرحالة الفرنسى البروتستنتى Theophraste Renoudot ثيوفراست

رينودوت فى عام ١٦٣١ . وكانت هذه الصحيفه أسبوعية ، صدرت أول الأمر فى أربع صفحات. ثم زيدت صفحاتها إلى ثمان ؛وكانت تنشر أنباء فرنسا الداخلية كما كانت تنشر الانباء الخارجية.

ولما كان ريشيليو الدكتاتور الفرنسى هوالذى صرح بصدور هذه الجريدة ، فقد اعتبرت لسان حال الحكومة . فلما كان عام ١٦٦٥ صدرت جريدة Le Journal des Savants أى صحيفة العلماء ، ثم صحيفة Le Mercure وكانت تعنى ببحوث فى الموسيقى والأدب والأغانى والشعر وأخبار الزواج . ولم يكد يبلغ القرن السابع عشر نهايته حتى ظهرت الصحف بأنواعها المختلفة : السياسية والأدبية ولم تكن بينها جريدة يومية . وشهد عام ١٧٧٧ مولد أول جريدة يومية فى فرنسا وكان اسمها Le Journal de Paris وظهرت أول صحيفة يومية فى انجلترا عام ١٨٠٢ وكان اسمها The Daily Crown

وشهد القرن التاسع عشر تلك النهضة الصناعية الجبارة فى القارة الأوروبية، وكان من آثارها أن اخترعت آلات حديثة للطباعة ، فى وسعها طبع عدة آلاف من النسخ ، وقد كتبت جريدة « التيمس » فى عددها الصادر بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٨١٤ مقالا فصلت فيه الحديث عن ميزات المطبعة الجديدة . واخترع فى هذه الآونة نفسها حبر الطباعة فى فرنسا ، كما اخترع التصوير الصحفى وظهرت الصحف المصورة ، وسهلت المواصلات بعد اختراع القاطرة والتلغراف والتليفون وورق الصحف . وترتب على ذلك كله ازدهار صناعة الصحافة وبيع نسخها فى الأسواق ومناداة الباعة عليها وقد كانت من قبل قاصرة على المشتركين . ثم ظهرت الصحافة الأمريكية بقوة ملموسة وإدارة مالية موفقة ، عندما أصدر (جوردون) عام ١٨٣٥ جريدة The New York Herald . وقد ظهرت فيها التحقيقات الصحفية لأول مرة .

لاشك أننا نعرف هذا كله ، كما نعرف أن مصر شهدت الصحافة لأول مرة

على يد حملة نابليون فى عام ١٧٩٨ عندما جلب القائد الفرنسي مطبعته لخدمة أهداف حملته فى وادى النيل ، وذلك باذاعة المنشورات والبيانات على الشعب المصرى ، ولكن نابليون البعيد المطامح سرعان ما أصدر جريدتين فرنسيتين بمصر إحداهما لوكوريير دو ليجيبت Le Courrier de L'Egypte والثانية La Decade Egyptienne . فلما جاء محمد على إلى مصر أصدر أول جريدة عربية رسمية هي (الوقائع المصرية) وذلك فى ٢٥ جمادى الأولى عام ١٢٤٢ هـ ثم شهدت مصر مولد أول جريدة شعبية (غير رسمية) فى عام ١٨٥٧ م وكان اسمها (السلطنة) ، ثم صدرت جريدة (وادى النيل) فى عام ١٨٦٦ و (الأهرام) فى عام ١٨٧٥ .

وتقدمت الصحافة من بعد ذلك فى طريق الرواج والازدهار ، باعتبارها فنا وصناعة ، حتى صارت لها مكانتها المرموقة اليوم .

***

يتأكد لنا مما تقدم أن الأدب قد سبق الصحافة إلى هذا الوجود ، وأنه كان ولايزال دعامة قوية من ألزم دعامات الحضارات العالمية الباقيه . ونحن نعرف جميعاً أن الصحافة صناعة كانت ولا تزال تعتمد على الأدب ، بل تفاعلت مع الأدب تفاعلا قويا ، وامتزجت به امتزاجا عميقا . ولا يغرب عن بالنا جميعاً أن الصحافة قامت أول ما قامت على كواهل الأدباء ، وكانت فى مراحلها الأولى تقوم على الأدب وبالادب ، فما من أديب جهير فى الشرق والغرب إلا وكانت له صلة بالصحافة ، بل لعلنا لانعدو الحقيقة إذا قلنا إن الصحافة ربيبة الادب وصنيعته ، ولكنها لم تلبث أن اتخذت لنفسها شخصية جديدة ، منبثقة من طبيعة وظيفتها ومهمتها وتكوينها . فهى تصدر دورية ، وهى تتناول أخبار الناس وألوان نشاط الحياة الواقعية على اختلافها من اقتصادية واجتماعية ، ومن حوادث سعيدة وشقية ومن حروب وكوارث واختراعات ومشروعات .

ولما كانت أنباء الناس والحياة معين لا ينضب ودولاب لا يكف عن الدوران، لذلك كانت عجلة الصحافة سريعة الدوران، أو لعلها آلة فوتوغرافية تلتقط صور الاشياء كما هي وبسرعة بالغة، ثم هي مكلفة بالصدور في موعد محدد ولابد أن تدور آلات طباعتها في لحظة محددة، وهذا كله من شأنه أن ينأى بها عن التصور والتفكير الأدبي، الذى ينطبع عادة بالتأمل والتقصى والتأنى وتقليب وجهات النظر وتمحيصها، ويمقت العجلة والاندفاع، وهكذا باعدت ظروف الصحافة ومهام وظيفتها، بينها وبين الادب، وجعلها تبدو في صورة جد مختلفة عن صورة (العمل الادبى) المألوف.

***

قدمنا أن كثيرا من أهل الادب أعانوا الصحافه في مراحل تدرجها الاولى، وأخذوا بيدها في طريق التقدم والنماء. فعلوا ذلك في مختلف بقاع العالم المتمدين، وفعلوا ذلك في مصر بوجه خاص. فمنذ تولى الاديب على رفاعه الطهطاوى رياسة تحرير (الوقائع المصرية)، انخرط معظم أئمة الأدباء في سلك الصحافة، ومنهم أديب اسحاق وجورجي زيدان والمويلحي والمنفلوطى وفارس نمر وصروف وخليل مطران وحسين هيكل والمازنى والعقاد والرافعي والجميل وتوفيق دياب وحافظ عوض وطه حسين واحمد حسن الزيات واحمد أمين وتوفيق الحكيم وزكى عبد القادر وعادل الغضبان.. الخ

ولكن يجدر بنا القول بأن مساهمة أدبائنا الكبار في عالم الصحافة كانت قاصرة على تدبيج المقالات الرئيسية أو البحوث الادبية الباهرة أو شن الحملات النقدية البارعة، أو نقد الكتب وعرض الآثار الادبية، أو تحرير القصص القصيرة، في حين أن مهمة الصحافة كما نعرفها اليوم، أصبحت — كما أسلفنا — أوسع من ذلك بكثير، فهى تتناول نشر أنباء الادب، بوصفها أنباء تهم فريقا من قرائها العديدين، كما تتناول أخبار الموظفين وترقياتهم وتأمين حياة العمال وترقية أحوال الزراعة والتجارة والصناعة الخ.

ومن ثم يتبين لنا أن أنباء الادب — ولا نقول الادب نفسه — أصبحت جزء محصوراً من المهمة التى تقع على كاهل صحافة اليوم ، بل إن صحافة اليوم أضحت لاتعنى إلا باليسير السهل والعابر الضحل من أمور الادب ، اللهم إلا إذا تخصصت الصحافة فى الادب وتوسعت فيه واقتصرت عليه دون سواه من المباحث !

ولقد شهدنا فى مصر مولد كثير من الصحف الادبية المتخصصة : شهدنا الهلال والمقتطف والبيان والبلاغ الاسبوعى والسياسة الاسبوعية والفصول والصباح ومجلة النهضة الفكرية لصاحبها الاديب العالم الدكتور محمد غلاب وقد كتبت فيها وأنا طالب ثانوى ، بل وشاهدنا فى عام ١٩٣٢ مولد أول مجلة متخصصة فى شئون الشعر ونقده ألا وهى مجلة (أبوللو) التى أصدرها الاديب المصرى الكبير الدكتور احمد زكى ابو شادى نزيل أمريكا اليوم ولقد كان مولد مجلة (أبوللو) بشيرا بنهضة أدبية وفكرية كبيرة ، واستطاعت أن تجذب إليها الانظار وجعلت خواطر الادباء والمتأدبين تتجه إليها ، ولم تمض سنة على صدورها حتى تشجع الاستاذ الزيات وأصدر مجلة (الرسالة) لسانا للجنة التأليف والترجمة والنشر ، فكانت أول مجلة أدبية أسبوعية عامة ، أحيت أيام البلاغ الاسبوعي والسياسة الاسبوعية والحق إن النشاط الادبى بلغ أوجه فى تلك الآونة ، ثم أصدر الدكتور محمود عزمى مجلة (الشباب) الاسبوعية للادب والفكر والتعليقات الناضجة ، وتلتها مجلة (الاسبوع) الأدبية الفنية لصاحبها الأستاذ ادوارد عبده وجريدة (منبر الشرق) لصاحبها الشاعر المجاهد الشيخ على الغاياتى ، وكان من آثار هذه النهضة الفكرية أن أقبل القراء على المجلات الأدبية يشجعونها ويؤازرونها . فلما كان مطلع عام ١٩٣٩ صدرت مجلة (الثقافة) لسانا لجماعة التأليف والترجمة والنشر ، بدلا من مجلة (الرسالة) ، التى استقل بها صاحبها الاستاذ الزيات . وتولى رياسة تحريرها الدكتور احمد أمين . وكان بين كبار كتابها الاستاذ الدكتور أحمد زكى والاستاذ محمد فريد ابو حديد والدكتور عباس عمار والدكتور محمد عوض محمد وآخرون

وهكذا شهدنا فى مصر حركة أدبية وفكرية مباركة ، غير أن اشتعال الحرب العالمية الثانية فى أول سبتمبر عام ١٩٣٩ جعل المجلات الأدبية تنكمش وتتضاءل بعض الشيء ، كما جعل الصحف اليومية تؤثر أنباء الحرب وتطورات المعارك على أخبار الأدب والفكر . فلما بدأت المعارك تتكشف عن قرب انتصار الحلفاء على الألمان ، بعد نزول قوات إيزنهاور فى بلاد المغرب الافريقى ، أصدر الامريكان طبعة عربية لمجلتهم الشهرية المعروفة باسم Readers Digest وجعلوا الاستاذ فؤاد صروف رئيسا لتحريرها . وصدرت تلك الطبعة العربية باسم (المختار من ريدرز دايجست) . ولا مراء فى أن صدور (المختار) فى تلك الآونة الكئيبة الكابيه قد أنعش الحركة الفكرية بعض الشيء ، وقد استهدفت المجلة نشر الآراء والأفكار الأمريكية ، المنطوية على الروح العملية . ومع ذلك فان النجاح المبدئى الذى صادفه ظهور هذه المجلة نتيجة لحالة الحرب القائمة لم يستمر طويلا . ولم تكد تنته الحرب حتى صدرت مجلة شهرية أخرى باسم (الكاتب المصري) وتولى رياسة تحريرها الدكتور طه حسين . وعاونه فيها الاستاذ حسن محمود ولقد بذلت هذه المجلة المحاولة الثانية — بعد محاولة المختار — لكى تطعم الأدب العربى بالفكر العالمى وكان ينبوع الفكر العالمى فى هذه المرة هو الينبوع الفرنسى . ولقد اصطلحت عناصر مختلفة على قتل (الكاتب المصرى) وهي بعد فى مهدها . وأخيرا صدرت مجلة (الكتاب) شهرية أدبية عربية خالصة عن (دار المعارف) . وتولى رياسة تحريرها الأستاذ عادل الغضبان ، ومع ذلك فقد اضطرت أخيرا الى الاحتجاب رغم تحريها الجودة والنهوض بالأدب العربى الحديث . أجل أضطرت للاحتجاب كما احتجبت من قبل الرسالة والثقافة والمقتطف ، وكما احتجبت من قبلها أبولو والسياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعى والأسبوع .

وهكذا لم يبق فى ميدان الصحافة الأدبية فى مصر سوى مجلة (الهلال) الشهرية وحتى هذه تطورت كثيراً وأدخلت على تبويبها تعديلات تكفل لها أسباب الحياة فى هذا المعترك الصاخب وكذلك كان حال مجلة الفصول .

هذا ما كان من شأن الصحافة الأدبية فى مصر اليوم ، وهانحن أولاء نتلفت حوالينا فى لهفة لنرى أن الأدب الحقيقى الجدير بهذه التسمية غير ممثل أوموجود فى الصحافة المصرية العادية ، على الصورة التى ينبغى أن يكون عليها . صحيح أن الصحف تنشر المقالات والابحاث والقصص ، وتنقل إلى العربيــة الكثير من آراء مفكرى الغرب ، ولكن الأديب المصرى يشعر صادقا أن مكان الجريدة الأدبية الخالصة لايزال شاغراً . وحرام وألف حرام أن يظل مكان الجريدة الأدبية شاغراً فى عام ١٩٥٤ وبعد هذه الثورة المصرية الباهرة التى كان الأدباء المصريون روادها وطلائعها .

صحيح أن بعض الأدباء الأعلام يكتبون للصحافة اليومية ، ولكن هذه الصحافة اليومية — وليعذرني إخواني الصحفيون — تطلب أن يصلها الانتاج الأدبي سريعاً وسهلا و (مسلوقا) ، وإلا فهى غير راضية وساخطة . «والأديب — كما يقول الدكتور طه حسين فى بحث نشرته له « الجمهورية » الغراء فى ملحقها الأسبوعى الصادر يوم ٥ فبراير سنة ١٩٥٤ — لابد له من أن يروض نفسه ويسوسها حتى تألف الجهــد والعناء والمشقة . وترى أنها أيسر ما يجب لانتاج الأدب الرفيع الذى يستحق وحده أن يسمى أدبا . ومقاومة للحاجات الكثيرة العاجلة المزدحمة » ، إلى أن يقول : « ولا على الأديب أن يغضب أصحاب المطبعة إن أبطأ به الانتاج عما ضربوا له من موعــد ! ذلك كله خير له من أن يتعجل فيرضى الصحيفة والمطبعة ويسخط الفن ويفسد أدبه ، وقد يفسد معه ذوق كثير من القراء ! وهنا تنكر الصحف وتثور ، فهى لا تستطيع أن تنتظر الأدب حتى يتم نضجه ، ويصبح نشره شيئاً لاحرج فيه . فمن أراد أن يكتب لها على شرطها فليفعل . ومن أبى إلا أن يكتب على شرط الأدب فليلتمس لنفسه مذهبا آخر من مذاهب النشر ! ».

هذا بعض ماقاله الدكتور طه حسين فى مقاله . وأحسب أنه إنما كان يناجى نفسه بما صارح به القارئين . فهو نفســه مشغول بالنشر فى الصحف اليومية التى

لاترحم لأن مطابعها الحديدية الفؤاد تطلب المواد فى موعد محدد . ومحال أن ينتظر الأديب المفكر حتى يتنزل عليه الوحى والالهام . ولا ريب فى أن الأديب الصحيح محرج . فاذا شاء أن يكتب على شرط الأدب — كما قال الدكتور طه حسين — والتمس لنفسه مذهبا آخر من مذاهب النشر . فلا معدى له عن أن يكتب لمجلة أدبية . وما دام الادب لايجد فى هذه الآونة مجلة ترضى بشرط الأدب كما قال الدكتور . فلينتظر الأديب حتى يصدر إنتاجه فى كتب مستقلة .

***

ومحنة الصحافة الأدبية تدفعنا إلى الحديث فى أسبابها ودواعيها . ولعل السبب الرئيسى فى أفول نجم الصحافة الأدبية هو أن الجرائد اليومية فى أيامنا هذه تعود القراء أن يطالعوا كل بسيط سهل من الآراء والأفكار . وهى تغالى فى هذا المضمار فتنشر مقالات ربما أدت بالقارىء إلى لون من الجمود الفكرى والتبطل الذهنى . بل لعل يوما قريبا يأتى ونرى فيه القراء لايبذلون أى جهد حقيقى لفهم مايطالعون . نعم إن قراءنا يمرون بعيونهم مروراً سريعاً عابراً على صفحات الجرائد اليومية وكأنهم يشهدون فيلماً سينمائياً مرفها . دون أن يبذلوا أي عناء حقيقى فى سبيل فهم مايطالعون . هذا هو السبب الأول . أما السبب الثاني لاضمحلال الصحف الأدبية فهو أن غالبية القراء قد استساغوا هذا التوجيه (السينمائى)من الصحافة دون التوجيه المركز الملي، ، فهم يخشون أن يتعبوا أنفسهم بعد أن أفسدت بعض الصحف أذواقهم . ولم يعد لهم قبل بالقراءة الدسمة . أما السبب الثالث لهبوط الصحافة الأدبية وموتها فيرجع إلى بعض محرريها الواسعى المطامح البعيدي المطامع . وإن كانوا لايستندون إلى أساس متين من الثقافة العامة . كما يقول بحق الأستاذ فؤاد إفرام البستانى عميد الجامعة اللبنانية فى حديث له مع مجلة الهاتف العراقية نشرته الصحيفة أخيرا « فاذا

تخصص أحدهم فى تحرير زاوية الأدب مثلا ، أحس أن من واجبه أن يتحدث إلى قرائه عن الأدب الفرنسي أو الانجليزى . وقد لايكون متصفاً بشىء منها . فيكتفى بنقل قطعة عن اللغة الاجنبية التى يعرفها على غير تعمق . فيعرض بضاعة أجنبية الأصل ، ولكنها فاسدة النقل ، فاذا اطلع عليها أحد العارفين عزف عنها ، بل وعزف عن المجلة بكاملها واحتقرها » .

***

هذا بعض مايقال عن الصحافة الأدبية التى نريد أن تملأ مكانها الشاغر عن جدارة واستحقاق فى القريب العاجل .

ومهما يكن من أمر فان الأدب الصحيح لايزال يؤلف — كما قدمنا — عنصراً هاماً من عناصر الصحافة العادية . ولكن الصحافة العادية كما نعرفها اليوم ليست أدبا ، والمتصدى للعمل فى الصحافة اليوم حقيق بأن يجمع إلى الأدب ضروبا أخرى من المعرفة ،وأفانين من الخبرة والدراية بالناس والأشياء والأحداث التى تدور من حوله والمجتمع الذى يعيش فيه ويضطرب ! ويجب أن يكون بعد ذلك كله وقبل ذلك كله موهوبا تلك (الملكة الصحفية) التى يستطيع بها أن يلفت أنظار قرائه إلى مايريد قوله ! .

وليس للصحفى الجدير بهذا الاسم مجال للتخصص كما هو حال الأديب ، وإنما يتخذ الصحفى من كل مايعرض له من موضوعات وأنباء مادة لعمله الذى لاينقطع ولا ينتهى .

وقد صدق المرحوم الأستاذ عبدالقادر حمزه (باشا) حينما قال فى وصف الصحفى: إنه مطالب بأن يكون حاضر البديهة ، حاضر الجواب على كل مايدعى لأن يكتب فيه ، وهو فى كل ذلك لايختار — كما يفعل الأديب — بل الحوادث هى التى تختار له كل يوم ألواناً جديدة ، وتدعوه لأن يتجه اليها ، وينتهى الأمر بهذا الصحفى إلى أن يتسع أفق الأدب والعلم والخبرة عنده ، فيكون وكأنه الموسوعة ، بينما يكون الأديب بجانبه وكأنه كتاب فى فن معين » .

هـــذا مايقوله الصحفى الكبير عبد القادر حمزه فى التفريق بين الصحفى والأديب . وعلى الجملة فإن الأدب هو الذى يعد للصحافة جنودها وقادتها . كان ذلك حاله ولا يزال ، بل وسيظل كذلك على طول المدى . صحيح أن للصحافة دراسات حديثة متوسعة لابد أن يلم بها الصحفى المبتدىء ، ولكن ذلك الصحفى المبتدىء لابد أن يكون فى الأصل أديباً مثقفاً . بل نذهب إلى أبعد من هذا فنقول إن الصحافة العادية المعروفة لنا اليوم نوعان : صحافة رأى ، وصحافة خبر وصحافة الخبر قد تستغنى عن الأديب أما صحافة الرأى فلا مفر لها من استخدامه ولايزال معظم كتاب صحف الرأى فى مصر والعالم من كبار الأدباء والمفكرين .

يقول الصحفى الانجليزى المعروف « ويكهام ستيد » : المعروف أن الجريدة تعتمد على الجمهور وتتوقف حياتها عليه . ولذلك يجدر بها العناية بنشر الأصلح ، بطرق ممتعة جذابة تجعل الجماهير تتذوق ما تقرأه وتستوعبه . وليست الصحافة النافعة المجدية إلا كالسكر الذى يغطى حبة ، ربما لايستساغ طعمها ولو كانت بدونه ، بل إن الصحافة المجدية تشبه أكثر ماتشبه الطعام الذى يعده طاه قدير . يستطيع أن يتفنن فى المواد التى يستخدمها فى إعداد ذلك الطعام ، بطريقة تجعل مايقدمه منه شهيا ومغذيا ولذيذا .

والفرق بين الصحفى والأديب هو أن هذا الأخير يختار مواده ، ثم يعدها كما يعد الطعام بالطريقة التى تلائمه ، فاذا رغب الجمهور عما يقدمه الأديب إليه ، ولم يشتر كتبه ، عادت الخسارة على الأديب وحده ، أما الصحفي فعليه أن يستعمل المواد التى ترد إلى سوق الأخبار يوما بعد يوم ، فإن أساء استعمالها خسرت الجريدة عدداً من القراء ، وضاقت دائرة ذيوعها وانتشارها . ومن ثم يجب على الصحفى أن يفكر دائما فى جريدته ، وفى الطرق التى تمكنه من خدمتها وتعزيزها ...

ولا نكران فى أن الصحافة مرآة للتقدم العلمى والفكرى ، فلقد عاونت على تطوير كثير من الرموز والمعانى الأدبية القديمة . مستعينة بالعلم ومستحدثاته

فى هذا السبيل كما أشارت إلى ذلك صادقة المفكرة الأمريكية سوزان ك. لانجر Susanne K. Langer فى كتابها الثمين «الفلسفة فى ضوء جديد Philosophy in a new key».

***

أجرى المفكر الفرنسى الفيكونت دافنل حواراً طريفا بين جريدة وكتاب. وجعل الكتاب يقول للجريدة (*) : —

إنك تنعمين بمئة ألف قارئ، ولكنك لاتمكثين إلا ساعة واحدة فى يد القارئ، ثم لايلبث أن يمزقك ويلقى بك أو يجعل منك غلافا لبعض حاجياته، وهكذا تختفين دون أن تتركى أثراً!

فاجابت الجريدة بقولها : أعترف لك أيها الكتاب بأنك تعمر أكثر منى ولكنك تعيش فى عالم الظلام والنسيان، وأنا أفضل حياة يوم أراه مشرقا زاهيا على مائة عام تقضيها أنت مجهولا مهملا على الرفوف التى يعلوها التراب.

وهذا قول ظاهر التحيز دون ريب للصحافة.

والواقع أن الكتب تعيش وتعيش وتخلد معها الأفكار البشرية والثقافة العظيمة. حتى وإن علاها التراب وغطاها نسيج العنكبوت. وهى بما يعلوها من غبار السنين، تعتبر الأساس المكين الذى تنهض على كواهله وتقوى الصحافة يوما بعد يوم.

***

والمؤكد أن بعض الكتب الخالدة العظيمة قد كونت الكثير عن الشخصيات الكبيرة التى خلدت فى التاريخ. ويروى عن (جون شارب) قوله : « لقد جعل منى شكسبير والانجيل رئيسا لأساقفة يورك ».

(*) نقلنا هذا الحوار مختصرا من كتاب « الصحافة والصحف » لمؤلفه المرحوم الصحفى المعروف الاستاذ عبد الله حسين.

واعترف المازنى رحمه الله فى مقال كتبه بجريدة «البلاغ» فى غضون عام ١٩٣٤ بمناسبة ظهور كتابى « رواد الشعر الحديث فى مصر * » بأن عبد الرحمن شكرى الشاعر الكبير قد وجهه لقراءة شكسبير ووردسورث وشعراء البحيرة ، كما وجهه لمطالعة المتنبي والبحترى وابن الرومى والمعرى فكان لذلك التوجيه أعظم الأثر فى مؤتنف حياته الأدبية .

هذا بعض مانعرفه عن الكتب التى كوّنت وتكون الرجال . ولكننا لم نسمع برجل كونته الصحف السيارة وجعلت منه شيئاً مذكوراً . بل على النقيض من ذلك . نرى بعض الصحف الصفراء يسىء إلى الشباب ويردهم عن الطريق السوى . ولقد صرح منذ سنوات (شستر لورد) المحرر المعروف بجريدة (نيويورك صن) بأن « قراءة المجلات الاستعراضية لمجرد التسلية لا للعلم أو تغذية العقل وتنمية الوجدان كان لها أكبر الأثر فى انحطاط الأخلاق فى أمريكا » .

وهذا الذى قاله الكاتب الأمريكي الجهير حق وصدق فبعض الصحف الصفراء أفسد الأخلاق فى أمريكا واقتدت به طائفة من الصحف فى كل البلدان، حتى أصبحت الشكوى من هذه الحال شكوى العصر الراهن فى كل مكان . ولا نجاة لنا من ذلك كله إلا بالتمسك بحبل الأدب والثقافة العالية وهو حبل النجاة والخلاص الذي لاريب فيه

(*) أثار هذا الكتاب عند صدوره ضجة عظيمة فى الجو الأدبى وتناوله المازني والعقاد وشكري وغيرهم بالنقد والتعقيب .

للمؤلف

(١) سعادة الأسرة — قصة للكاتب الخالد ليوتولستوى (نفدت)

(٢) رواد الشعر الحديث فى مصر (دراسة نقدية أدبية) (نفد)

(٣) الزورق الحالم (الجزء الأول من ديوان شعر المؤلف) (نفد)

(٤) علمتنى الحياة : باشراف الأستاذ الدكتور أحمد أمين

تحت الطبع

(١) تاريخ الصحافة العربية فى مصر من سنة ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٥٠ على ضوء الأحداث السياسية ، وهذا المبحث هو موضوع رسالة الدكتوراه فى الآداب من جامعة (إكس آن بروفانس) الفرنسية ، وسيظهر بالعربية والفرنسية معا

(٢) تلميذ الشيطان (مسرحية للكاتب العالمى جورج برنارد شو عربها المؤلف ، ومثلت على مسرح الأوبرا المصرية)

(٣) زورق الأحلام (الجزء الثانى من ديوان شعر المؤلف)

(٤) صور سريعة (مجموعة من الأبحاث والدراسات الاجتماعية والسياسية والأدبية) .

BETWEEN

Literature and Journalism

By

Dr Moukhtar EL Wakil

(A Lecture Given on the 16 th of February 1954,

in the Program of the League of Modern literature, Cairo.)

Author's Address
Dr. Moukhtar EL Wakil
Cultural Department
League of Arab States
102 Sh. Farouk Agouza
Dokki Cairo (Egypt)